



"كي تِسّا" هو النصّ الأسبوعي التاسع من كتاب "شموت" (سفر الخروج) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الحادية عشرة من المقطع الثلاثين وينتهي بالآية الخامسة والثلاثين من المقطع الرابع والثلاثين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

كَيْفَ يَفْشَلُ الْقَادَةُ

كما رأينا في نصّين أسبوعيين سابقين، هما نص "فايتسيه" من سفر التكوين، ونص "فايزي" من سفر شموت أي سفر الخروج، فإنّ ميدان القيادة محفوف بالفشل. وليس خُلُوّ مسيرة القائد من العثرات هو المقياس الحقيقيّ له، بل قُدْرته على النهوض بعد السقوط، والكيفيّة التي يُواجه بها الإخفاق ويمضي قُدّمًا من جديد.

يُمكن أن يفشل القادة نتيجة نوعين من الأسباب: الأول أسباب خارجيّة لا قدرة لهم على التحكّم بها، كأن لا يكون الوقت مُناسبًا، أو أن تَسودَ ظروفٌ غير مُواتية، أو غياب طرفٍ آخر يمكنهم الحوار معه. وقد أطلق المفكر والفيلسوف الإيطالي في عصر النهضة نيكولو مكيافيلي على هذه الظروف الخارجيّة المعاندة اسم "فورتونا"، أي حُكم الحظّ العاثر القادر على الإطاحة بأعظم الشخصيات. ففي بعض الأحيان، حتّى عندما يبذل الإنسان قصارى جهده، يكون الفشل من نصيبه، وهذه سُنّة الحياة.

أمّا النوعُ الثاني فهو الفشل الداخلي، الذي يحدث حين يفتقد القائد الشجاعة اللازمة للقيادة. فكثيرًا ما يُضطرّ القادة إلى معارضة الجماهير، وأن يقولوا "لا" حين يصرخ الجميع "نعم"، وهو ما قد يثير الرعب في نفس القائد. إذ إنّ للجماهير قوّة واندفاعًا خاصين بها، وقد يُعرّضُ رفض الانقياد لها مسيرة القائد للخطر، بل حياته حتّى. وهنا بالتحديد تكون حاجة القائد إلى الشجاعة بالغة الأهمية، ويُشكّلُ عدم التحلّي بها أخطر أنواع الفشل الأخلاقي.

وُعدّ الملك شاوول/شاوّل أحد الأمثلة الكلاسيكيّة على الضعف الداخلي الذي يعتري القائد، إذ أخفق في تنفيذ أوامر النبيّ شموئيل/صموئيل في معركته مع العماليق. فقد أوحى الله عزّ وجلّ إلى شموئيل أن يأمر شاوول بإبادة كلّ أحدٍ وكلّ شيءٍ دون استثناء، ولكنّ شاوول خالف هذه الأوامر، وذلك كما ورد ابتداءً من الآية الثالثة عشرة وانتهاءً بالآية الحادية والعشرين من المقطع الخامس عشر من سفر صموئيل الأوّل:

"وَلَمَّا جَاءَ شَمُوئِيلُ إِلَى شَاوُولَ قَالَ لَهُ شَاوُولُ: مُبَارَكٌ أَنْتَ لِلرَّبِّ. قَدْ أَقَمْتُ كَلَامَ الرَّبِّ. فَقَالَ شَمُوئِيلُ: وَمَا هُوَ صَوْتُ الْغَنَمِ هَذَا فِي أُذُنِي، وَصَوْتُ الْبَقَرِ الَّذِي أَنَا سَامِعٌ؟ فَقَالَ شَاوُولُ: مِنَ الْعَمَالِيقِ، قَدْ أَتَوْا بِهَا، لِأَنَّ الشَّعْبَ قَدْ عَفَا عَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ لِأَجْلِ الذَّبْحِ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. وَأَمَّا الْبَاقِي فَقَدْ حَرَّمْتَاهُ. فَقَالَ شَمُوئِيلُ لَشَاوُولَ: كَفْتُ فَأُخْبِرَكَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ إِلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. فَقَالَ لَهُ: تَكَلَّمْ. فَقَالَ شَمُوئِيلُ: أَلَيْسَ إِذْ كُنْتُ صَغِيرًا فِي عَيْنَيْكَ صِرْتُ رَأْسَ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ وَمَسَحَكَ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَرْسَلَكَ الرَّبُّ فِي طَرِيقٍ وَقَالَ: اذْهَبْ وَحَرِّمِ الْخَطَاةَ عَمَالِيقَ وَحَارِبِهِمْ حَتَّى يَفْتَنُوا؟ فَلَمَّاذَا لَمْ تَسْمَعْ لَصَوْتِ الرَّبِّ، بَلْ تُزِتْ عَلَى الْغَنِيمَةِ وَعَمِلْتَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبُّ؟ فَقَالَ شَاوُولُ لَشَمُوئِيلَ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ لَصَوْتِ الرَّبِّ وَذَهَبْتُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَرْسَلَنِي فِيهَا الرَّبُّ وَأَتَيْتُ بِأَجَاجٍ مَلِكِ عَمَالِيقَ وَحَرَّمْتُ عَمَالِيقَ. فَأَخَذَ الشَّعْبُ مِنَ الْغَنِيمَةِ غَنَمًا وَبَقَرًا، وَأَوَائِلَ الْحَزَامِ لِأَجْلِ الذَّبْحِ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ فِي الْجِلْجَالِ".

يتضح هنا أن شاوول يختلق الأعذار: فتارةً يُلقي باللوم على جنده، وتارةً يتذرع بأن نواياه هو وجنوده كانت طيبة، حيث أبقوا خيار الغنم والبقر ليقدّم ذبيحةً لله عزّ وجلّ. كما أنه لم يقتل أجاج، ملك العماليق، بل أحضره أسيرًا، خلافًا لأمر الله عزّ وجلّ.

لكنّ النبي شموئيل بقي ثابتًا لا يلين، وأعلن بحزمٍ حكم الله على شاوول، الذي ورد في الآية الثالثة والعشرين من المقطع الخامس عشر من سفر صموئيل الأول:

"لَأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلَامَ الرَّبِّ رَفَضَكَ مِنَ الْمُلْكِ".

ولم يعترف شاوول بخطيئته إلا بعد فوات الأوان، إذ قال، كما ورد في الآية الرابعة والعشرين من المقطع الخامس عشر من سفر صموئيل الأول:

"أَخْطَأْتُ".*

لكن الأوان كان حينها قد فات، وانتهت مسيرته كقائد.

وثمة مقولة منسوبة إلى بعض السياسيين، رغم أنها غير مؤكدة، وهي: "طبعًا أنا أتبع الحزب، فأنا زعيمه في نهاية المطاف".¹ فبعض القادة يتوهمون أنهم يقودون، بينما هم في الحقيقة يُسايرون الجماهير ويتبعونهم. وقد شبه الحاخام يسرائل سالانتر هؤلاء الكبار بكلبٍ يركض أمام صاحبه أثناء التزّه، لكنّه يلتفت باستمرارٍ إلى الوراء ليتأكد أنه لا يحمّد عن الاتجاه الذي يُريده صاحبه. ورغم أنّ الكلب قد يظنّ أنّه هو من يقود، إلا أنّه في واقع الأمر تابع.

ووفقًا للقراءة المباشرة للنصّ التوراتي الأسبوعي "كي تيسا"، كان ذلك هو المصير الذي آل إليه أهارون/هارون. فبعد أن مكث نبيّ الله ورسوله موشيه/موسى على الجبل أربعين يومًا، استبدّ القلقُ بالناس، وأخذوا يتساءلون: هل مات؟ أين اختفى؟ إذ شعروا بالضياح بدون نبيّ الله ورسوله موشيه، الذي كان الصلة بينهم وبين الله عزّ وجلّ. ففي نظرهم، كان نبيّ الله ورسوله موشيه هو الذي صنع المعجزات، وشقّ البحر لهم، وأطعمهم وسقاهم. وهكذا تصف التوراة ما حدث بعد ذلك، وفقًا لما ورد ابتداءً من الآية الأولى وانتهاءً بالآية الرابعة من المقطع الثاني والثلاثين من سفر الخروج:

"وَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ، أَنَّ مُوشِيَهُ قَدْ أَبْطَأَ أَنْ يُنْزَلَ مِنَ الْجَبَلِ، فَتَجَوَّقَ الْقَوْمُ عَلَى أَهَارُونَ، وَقَالُوا لَهُ: قُمْ اصْنَعْ لَنَا مَعْبُودًا، يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْنَا، فَإِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ مُوشِيَهُ، الَّذِي أَضْعَدَنَا مِنْ بَلَدٍ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ. فَقَالَ لَهُمْ أَهَارُونَ، فُكُّوا أَشْنَفَ الذَّهَبِ، الَّتِي فِي أُذُنِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ، وَأَتُونِي بِهَا. فَقَلَّ جَمِيعُ الْقَوْمِ، أَشْنَفَ الذَّهَبِ

*ملاحظة توضيحية من المترجم: من المهمّ اقتباس الآية كاملة لفهم حجم العجز القيادي الكبير الذي أبداه شاوول، إذ يقول: "أَخْطَأْتُ لَأَنِّي تَعَدَّيْتُ قَوْلَ الرَّبِّ وَكَلامَكَ، لَأَنِّي خَفْتُ مِنَ الشَّعْبِ وَسَمِعْتُ لَصَوْتِهِمْ".

1. يُنسب هذا القول إلى بنجامين ديزرائيلي وستانلي بالدون.

الَّتِي فِي آذَانِهِمْ، وَأَتُوا بِهَا إِلَى أَهَارُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَأَمَرَ مِنْ صَوْرَهُ بِقَالِبٍ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَقَالُوا: هَذَا رَبُّكَ يَا آلَ إِسْرَائِيلَ، الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ بَلَدٍ مِصْرَ."

على إثر ذلك، عَظُمَ غَضَبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فتوسَّلَ إليه نبيُّ الله ورسوله موسى له يصفح عن الشعب ولا يُفنيهم، ثم هبط من الجبل، فرأى ما جرى، فكسر لوحَي الشريعة اللذين أحضرهما معه، وأحرق الوَثَنَ، وطحَّنه حتى صار غبارًا، وذَرَاهُ على الماء، وجعل بني إسرائيل يشربونه. ثم التفت إلى أخيه أهارون وقال له بغضب: "ماذا فعلت؟"، وقد ورد جواب أهارون ابتداءً من الآية الثانية والعشرين وانتهاءً بالآية الرابعة والعشرين من المَقْطَعِ الثاني والثلاثين من سفر الخروج:

"قَالَ، لَا يَشْتَدُّ غَضَبُ سَيِّدِي، أَنْتَ عَالِمٌ بِالْقَوْمِ، أَنَّهُمْ شَرِيرُونَ، فَقَالُوا لِي، اصْنَعْ لَنَا مَعْبُودًا، يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْنَا، فَإِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ مُوشِيهِ، الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ بَلَدٍ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ. فَقُلْتُ لَهُمْ انْظُرُوا لِمَنْ ذَهَبَ، انْتُونِي بِهِ فَقُومُوا وَدَفَعُوهُ إِلَيَّ فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ، وَخَرَجَ هَذَا الْعِجْلُ".

يُلْقِي أهارون باللوم على الشعب، فهم الذين طلبوا هذا الطلب المُشِين. وينبغي أن يكون مسؤولًا عن صنع العجل؛ كَأَنَّ الأمر حَدَثَ من تلقاء نفسه: " فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ، وَخَرَجَ هَذَا الْعِجْلُ"! إِنَّهُ المنطقُ ذاته الذي صادفناه في قصة آدم وحَفَاة/حواء، حيث ألقى الرجلُ باللوم على المرأة، وألقَتِ المرأةُ باللوم على الحية. وكَأَنَّ لسان حال أهارون يقول: "لم أكن أنا الفاعل، أنا ضحيةٌ ولسْتُ الجاني". ويُعَدُّ التملُّصُ من المسؤولية خطيئةً أخلاقيةً إذا ما ارتكبه أيُّ إنسان، ويُعَدُّ خطيئةً أكبر إذا ارتكبه القائد.

واللافتُ أَنَّ أهارون لم يُعاقَب فورًا على صنعه العجل الذهبي. فبحسب القراءة المباشرة للنصِّ التوراتي، حُكِمَ عليه بسبب خطيئةٍ أخرى تمامًا بعد سنواتٍ، حين تكلم بغضبٍ، هو ونبيُّ الله ورسوله موسى، ضدَّ الشعب بسبب شكواهم من قلة الماء، كما ورد في الآية الرابعة والعشرين من المَقْطَعِ العشرين من سفر العدد: "يَنْضُمُّ أَهَارُونُ إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْبَلَدَ، الَّذِي أُعْطِيَتْهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا قُلْتُ حِينَ خَالَفْتُمَا أَمْرِي فِي مَاءِ الْخُصُومَةِ (مِريفاة)".

ولم نعلم إلَّا لاحقًا، وتحديدًا في الشهر الأخير من حياة نبيِّ الله ورسوله موسى، حين أخبر الشعب بحقيقةٍ كان قد أخفاها عنهم: أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ كان قد اشتدَّ على أهارون بسبب العجل، وأنه، أي نبيُّ الله ورسوله موسى، هو الذي حال دون هلاك أهارون، وذلك كما ورد في الآيتين التاسعة عشرة والعشرين من المَقْطَعِ التاسع من سفر التثنية: "لِأَنِّي حَزِزْتُ الْعُصْبَ وَالْحَيَّيَّ، الَّذِي سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيَنْفِذَكُمْ، فَسَمِعَ اللَّهُ لِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَعَلَى أَهَارُونَ وَجَدَ اللَّهُ جِدًّا، وَكَادَ أَنْ يُنْفِذَهُ، فَاسْتَعْفَزْتُ لَهُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ". فبحسب شهادة نبيِّ الله ورسوله موسى، اشتدَّ غضبُ اللَّهِ على أهارون بسبب خطيئة العجل، حتَّى كاد أن يُهلكه عقابًا له، ولولا دعاءُ نبيِّ الله ورسوله موسى لما نجا من الهلاك.

ومن اليسير انتقاد الأشخاص الذين يفشلون في امتحان القيادة حين يقتضي الموقفُ الوقوفَ في وجه الجمهور، وتحديَّ الإجماع، وعرقلة المسار الذي تُصِرُّ عليه الأغلبية وتُدفع نحوه؛ لكن الحقيقة أَنَّ مواجهة حشود الناس هي أمرٌ عسير: إذ يُمكنهم تجاهلك، أو عزلك من منصبك، أو حتَّى اغتيالكَ. وعندما تخرج الحشودَ عن السيطرة، لا يوجد حلٌّ "ناعمٌ" معهم. وفي حادثة الرجال الذين بعثهم نبيُّ الله ورسوله موسى "لِيُزَوِّمُوا بَلَدَ كَنْعَانَ"، كما ورد في الآية السابعة عشرة من المَقْطَعِ الثالث عشر من سفر العدد، وقال لهم، كما ورد في الآية الثامنة عشرة من المَقْطَعِ ذاته: "انْظُرُوا الْبَلَدَ مَا هُوَ وَالْقَوْمُ الْمُقِيمِينَ فِيهِ"، بدا أَنَّهُ حتَّى نبيُّ الله ورسوله موسى كان عاجزًا أمام الشعب، وذلك كما ورد في الآية الخامسة من المَقْطَعِ الرابع عشر من سفر العدد: "فَوَقَعَ مُوشِيهِ وَأَهَارُونُ عَلَى وَجْهَيْهِمَا، بِخُضْرَةٍ جَوْقٍ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ". وبعد أن شاهد نبيُّ الله ورسوله موسى الشعبَ حول وثن العجل الذهبي، لم يكن سهلًا عليه أيضًا أن يُعيد النظام.

لذلك لم يستطع إلَّا أن يقومَ بأكثر الأفعالِ تأثيرًا، فَكَسَرَ اللوحين اللذين يحملان الوصايا، وطحَّنَ العجلَ حتَّى تحوَّلَ إلى غبار. ثم طَلَبَ الدعمَ، فاستجاب له اللاويون، وأوقعوا القصاصَ بالحشد، فكان القتلى في ذلك اليوم ثلاثة آلاف شخص. وإنَّ التاريخ يحكم أَنَّ نبيِّ الله ورسوله موسى كان بطلاً، ولكن كان من الممكن أن ينظر معاصروه إليه على أَنَّهُ مستبدٌّ قاسٍ. وإنَّنا بفضل التوراة نعلم ما جرى بين الله عَزَّ وَجَلَّ ونبيِّه ورسوله موسى في تلك اللحظات الحرجة، لكن بني

يسرائيل عند أسفل الجبل لم يكونوا يعلمون أنّهم كانوا قاب قوسين أو أدنى من الفناء، عقابًا لهم على خطيئة العجل الذهبي، ولم يعلموا أيضًا أنّ الله عزّ وجلّ كان على وشك أن يُهلك أهارون.

لقد أنصف إرثنا الدينيّ أهارون، وصوّره كرجلٍ سلام. ولعلّ هذا ما جعل الاختيار يقع عليه كي يكون كاهنًا أعظم؛ فهناك عدّة أنواعٍ من القيادة، ويتطلّب الكهنوت اتباع القواعد والالتزام بالنظام وإقامة الطقوس، لا اتخاذ مواقف تُحرّك الجماهير. لم ينجح أهارون في أن يُصبحَ ممثلًا لنبيّ الله ورسوله موشيه، لكنّ ذلك لا يعني أنّه كان فاشلاً؛ إنّما يعني أنّه خُلِقَ من أجل تأدية دورٍ آخر. فهناك أوقاتٌ تكون الحاجة فيها ماسّةً إلى من يملك شجاعة الوقوف في وجه الحشود، بينما نحتاج في أوقاتٍ أخرى إلى من يصنع السلام.

لقد مثّلَ نبيّ الله ورسوله موشيه وأهارون نمطين مختلفين من القيادة. ورأينا كيف فشل أهارون حين طُلب منه أن يكون "موشيه"، لكنه كان قائدًا عظيمًا بطريقته الخاصة في مجالٍ مختلف. وهكذا، كان نبيّ الله ورسوله موشيه وأهارون يكملان بعضهما، فلا أحد يستطيع أن يقوم بكل شيء لوحده.

في الحقيقة، عندما يخرج الحشد عن السيطرة، لا يجد القائد أمامه حلولًا سهلة. ولهذا السبب، تُشكّل اليهوديّة لنا درسًا ممتدًا في المسؤولية الفردية والجماعية. ولا ينبغي لليهود أن يتحوّلوا إلى "حشود"، وإذا حدث ذلك، قد يتطلب الأمر رجلاً مثل نبيّ الله ورسوله موشيه ليعيد النظام، وقد تحتاج، في أوقاتٍ أخرى، إلى رجلٍ مثل أهارون للمحافظة على السلام.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion



Facebook Twitter Instagram YouTube | RABBISACKS.ORG